الثـــورة

جريدة شهرية تصدرها رابطة العمل الشيوعي الفرع المغربي للتيار الماركسي الأممي

العدد: 07 (دجنبر 2016) البريد الالكتروني: communisme@marxy.com ثمن البيع: 5,00 دراهم، المساهمة: غير محددة

بريطانيا: 15.000 طالب وعامل يتوحدون ويناضلون من أجل التعليم، ص: 6

الشباب الأمريكي يرد الهجوم: فقط الاشتراكية يمكنها التغلب على ترامب!. ص: 6 و7

لماذا نحن ماركسيون، ص: 08

إسبانيا: فلنحضر للرد على الحكومة الجديدة، حكومة الاقتطاعات والهجمات الاجتماعية، ص: 11

الافتتاحية:

مرة أخرى يقدم رجال السلطة الدليل على طبيعة النظام الذي يدافعون عنه ويدافع عنهم. "طحن دين مو" هو الأمر الذي وجهه رجل السلطة لشريكه في الجريمة ليسحقا جسد الشاب محسن فكري في شاحنة الأزبال.

محسن فكري شاب كادح، ضحية لسياسة التهميش والتفقير التي تفرضها الطبقة السائدة على كل ربوع الوطن، وخاصة منطقة الريف، يقاوم بطالته وتهميشه وفقره بالاتجار في السمك، يتعرض كل يوم، مثله مثل مئات الآلاف من الشباب الآخرين، للابتزاز والإهانة على يد رجال السلطة في كل مدينة وقرية. كان من الممكن أن يكون أي واحد منا نحن أبناء الشعب الكادح، ويمكن أن يكون أي واحد منا غدا أو بعد غد، ما دام النظام الدكتاتوري قائما.

يظن بعض الساذجين، ويروج أعوان النظام، أن الحادث عرضي وظاهرة معزولة، لكن هذا خاطئ تماما. إن منطق "طحن دين مو" هو الموقف المنسجم مع طبيعة النظام القائم، باعتباره نظاما دكتاتوريا وحشيا. أليس هو نفسه النظام الذي ذبح الآلاف وارتكب أبشع الجرائم في الريف سنة 1958؟ أليس هو نفسه النظام الذي قتل الأطفال في شوارع البيضاء سنة 1965؟ أليس هو نفس النظام الذي أغرق انتفاضات سلمية في الدماء سنة 1981 و1984 و1991؟ أليس هو نفس النظام الذي قتل بدم بارد خمسة شباب وأحرقهم في الحسيمة نفسها خلال حراك 20 فبراير، وقتل في واضحة النهار كريم الشايب وكمال العماري وغيرهم وغيرهم؟

إن "طحن دين مو" ممارسة نابعة من طبيعة النظام نفسه. لا يمكن للطبقة السائدة وجهاز دولتها أن يسمحا بأي تعاطف من طرف خدامهما مع الفقراء، ولا بأي تساهل، لأن في ذلك خطر على بقاء النظام نفسه؛ يصدق هذا حتى على أنظمة الديمقراطية البرجوازية المتقدمة، لكنه يصير أكثر وقاحة في ظل الأنظمة الدكتاتورية، مثل النظام القائم بالمغرب. وعليه فإن النضال ضد ممارسة "طحن دين مو" تقتضي النضال الثوري ضد النظام الذي ينتج هذه الممارسة وضد الطبقة التي تستفيد منها. **أيها الشباب: إن الثورة هي الثأر!**

"مرحبا بكم في المغرب، نحن نطحن الناس هنا!"

في نهاية هذا الأسبوع خرج عشرات الآلاف من المغاربة الغاضبين إلى الشوارع على إثر تعرض بائع سمك في مدينة الحسيمة للسحق حتى الموت داخل شاحنة لجمع القمامة، بينما كان يحاول استعادة الأسماك التي صادرتها له قوات الشرطة المحلية. تمت مصادرة أسماك محسن فكري يوم الجمعة من طرف السلطات المحلية التي تفرض حظرا على مبيعات سمك أبو سيف في هذا الموسم. وقال شهود عيان على الحادث إن الشرطي شغل بشكل متعمد آلة الضغط بشاحنة جمع القمامة، عندما قفز محسن فكري داخلها لاسترداد أسماكه.

انتشرت صور الجثة المسحوقة داخل الشاحنة عبر وسائل الإعلام الاجتماعي وأثارت موجة من ردود الفعل الغاضبة. وقد انتشر اثنان من الهاشتاغ بالعربية #طحن_مو (اسحقه) و#كلنا_محسن_فكري، بشكل سريع وواسع على شبكة الإنترنت. الشعار المركزي هو ضد "الحكرة"، وهو مصطلح يحيل على الإحساس بالإهانة والظلم على يد الدولة. إنه شعور قوي يرتبط بالتجربة اليومية التي يعيشها العديد من الفقراء، وبواقع الازدراء والاستغلال والاضطهاد على يد أرباب العمل والملاك العقاريين والمسؤولين المحليين والإقليميين والزعماء الدينيين والشرطة والمسؤولين السياسيين ورجال ونساء الملك، أو بعبارة أخرى: على يد النظام نفسه. يتعزز هذا الشعور بفعل ارتفاع نسبة البطالة وانخفاض الأجور وارتفاع الأسعار. وقد رأى كثير من الناس مصيرهم في مصير بائع السمك، مثلما أعلن أحد المتظاهرين: "يشعر الجميع هنا بأنه سحق في شاحنة جمع القمامة". وقد أصبحت شاحنة جمع القمامة رمزا للنظام القمعي والاستغلالي القائم. من بين الشعارات التي رفعت في المظاهرات: "محسن مات مقتول، والمخزن هو المسؤول". والمخزن هو الكلمة التي تستخدم في المغرب لوصف مؤسسات النظام الملكي، لوصف النظام الملكي المطلق الذي يسيطر على المجتمع والثروة بالمغرب. يفهم الناس أن سلوك رجال الشرطة المحليين مرتبط أشد الارتباط بطبيعة أجهزة الدولة والنظام الاقتصادي.

لا يصدق نشطاء وسائل الإعلام الاجتماعية والمتظاهرون الأطروحة الرسمية القائلة بانتحار محسن فكري أو التي ترجع وفاته إلى حدوث خطأ غير مقصود. إنهم مقتنعون بأنه قتل عمدا على يد الشرطة ويطالبون بأن يعاقب الجناة. وقد رفضت السلطات البوليسية بطبيعة الحال تلك الاتهامات.

نظمت مظاهرات حاشدة، ليس فقط في مدينة الحسيمة (شمال المغرب)، بل أيضا في الدار البيضاء والرباط وأماكن أخرى كثيرة. كانت مظاهرات عفوية إلى حد كبير لكن نشطاء حركة20 فبراير شاركوا في تنظيمها. هذه المظاهرات هي على الأرجح أكبر حركة تشهدها المملكة منذ موجة الاحتجاجات التي اندلعت في عام 2011. في منطقة الريف (شمال المغرب)،

اتخذت المظاهرات تقريبا طابع انتفاضة، وتمت الدعوة إلى إضراب عام في جميع أنحاء المنطقة اليوم. هذه المنطقة كانت تاريخيا بؤرة للتمرد والمعارضة. وقد كانت حرب الريف ضد الاستعمار الاسباني والفرنسي في بدايات القرن 20، بزعامة القائد الشهير محمد بن عبد الكريم الخطابي، أول ثورة جماهيرية مناهضة للإمبريالية في التاريخ، وهي الثورة التي مازالت ذكراها حية. لكن النصر ضد ظلم الدولة المغربية لا يمكن تحقيقه إلا من خلال النضال المشترك مع بقية الطبقة العاملة والشباب في بقية أنحاء البلاد. إن النزعة الانفصالية التي تنادي بها بعض القوى السياسية في الريف لن تؤدي سوى إلى إضعاف الحركة الثورية ضد النظام.

يذكرنا مقتل محسن فكري، والسخط الجماهيري الذي أثاره في جميع أنحاء المغرب، بحدث إحراق الذات الذي قام به البائع المتجول محمد البوعزيزي في تونس، شهر دجنبر عام 2010. وقد شكل ذلك الحدث المأساوي الشرارة الأولى للثورة في منطقة شمال إفريقيا والشرق الأوسط. هذه ليست أول "حادثة" من هذا النوع تقع في المغرب هذه السنة. إذ قام عشرات من الأشخاص، الذين تعرضوا للقمع والإهانة على يد السلطات، بحرق أنفسهم أمام المؤسسات الرسمية أو في الأسواق. لذا فإن هذه الموجة من الاحتجاجات الجماهيرية الساخطة لم تكن مفاجئة. لقد كانت جميع المواد الاجتماعية والسياسية القابلة للاشتعال موجودة بالفعل وتنتظر حادثة أو شرارة لكي تنفجر. لم يتغير أي شيء نحو الأفضل في أي مكان في الشرق الأوسط، منذ بداية الثورات التي شهدتها المنطقة. خلال هذا العام وحده شهدت تونس انتفاضتين جماهيريتين بسبب سياسة التقشف الوحشية. وتترنح مصر على حافة انفجار اجتماعي جديد بينما تغرق أعمق فأعمق في دوامة من الركود والهجمات على مستويات المعيشة والقمع. لقد صارت أيام الفرعون الجديد، عبد الفتاح السيسي، معدودة. لكن لكي تنجح الحركات الجديدة لا يمكنها أن تقتصر على تغيير رئيس بآخر أو ملك بآخر، يجب أن تهدف إلى استئصال جهاز الدولة القديم والنظام الرأسمالي واستبدالهما بدولة الديمقراطية العمالية والاقتصاد المخطط.

تعيش السلطات في رعب من تكرار الأحداث العاصفة التي شهدتها خلال الحراك الثوري. لقد صمد النظام المغربي أمام الإعصار الثوري بفضل مزيج من التنازلات المادية والإصلاحات التجميلية وفساد قادة النقابات والحركة

. وقد أعطى ذلك انطباعا بالاستقرار تحت "القيادة الحكيمة والتقدمية" للملك، وغذى فكرة "الاستثناء المغربي" في الشرق الأوسط. ظن الحاكمون أنهم نجحوا في ترويض الجماهير، بينما أكد الماركسيون المغاربة دائما أن ذلك ليس حقيقيا، وقد أثبتت الأيام الأخيرة تحليلنا ضد جميع التصورات الانهزامية والمحبطة التي تبنتها جميع تيارات اليسار في البلاد.

أرسل الملك محمد السادس الآن ممثله لزيارة عائلة الضحية وتقديم تعازيه الملكية لها، ووعد أيضا بإجراء تحقيق. وقد فعلت وزارتا الداخلية والعدل الشيء نفسه. ليست هذه هي المرة الأولى التي تعد فيها السلطات بإجراء "تحقيقات شاملة وشفافة"، لكن ذلك لم يؤد أبدا إلى أي نتيجة. إن الدولة تمارس الخداع. يحاول جميع المسؤولين الظهور بمظهر الآسفين، غايتهم من وراء ذلك حماية النظام من المسائلة الجماهيرية. إذا لزم الأمر سيتم التضحية ببعض ضباط الشرطة في محاولة لتهدئة الجماهير الغاضبة. كما سيعتمد النظام على قادة الأحزاب الفاقدة للمصداقية، وكذلك على اليسار الإصلاحي وإسلاميي العدل والإحسان، لإفشال الحركة. لكن لا شيء سيتغير جوهريا، وسوف يتعزز فقط الوعي بالحاجة إلى حزب ثوري حقيقي لإنجاز الثورة الاشتراكية، التي هي الثورة الوحيدة التي يمكنها أن تلبي مطالب الجماهير. لقد انفتحت مرحلة جديدة في مسار الثورة المغربية. إن الجماهير في المغرب تعود مجددا للحراك الذي بدأته عام 2011 عندما "طالب الشعب بإسقاط النظام".

فليسقط النظام الدموي القمعي!
فلتسقط الرأسمالية!
عاشت الثورة الاشتراكية في المغرب والمنطقة بأكملها!
التحقوا بالفرع المغربي للتيار الماركسي الأممي!

يا دمه النازف ويا أيها الشباب: إن الثورة هي الثأر

"طحن دين مو" (اسحقه)، بهذه الكلمات الجديرة بفيلم رعب هوليودي وجه أحد رجال السلطة أمره لشريكه في الجريمة لتشغيل جهاز السحق بشاحنة جمع القمامة، لتحول جسد الشاب محسن فكري إلى أشلاء، استغرق استخراجها من الشاحنة ساعة ونصف كاملة، أمام دهشة وذعر واستنكار الجماهير الحاضرة.

وقعت الجريمة يوم الجمعة 28 أكتوبر عندما قفز محسن فكري، وثلاثة من أصدقاءه، إلى الشاحنة لاسترداد بضاعتهم التي صادرتها منهم الشرطة بطريقة تعسفية. كانوا يعتقدون أنهم بذلك سيدفعون رجل السلطة للتراجع عن نيته في تدمير سلعتهم وقوت يومهم، لكن ذلك الأخير كان له رأي آخر، وهو الذي تدرب طويلا على احتقار حياة وكرامة المواطنين والاستهتار بسلامتهم، والذي تعود على أن الجرائم ضد أبناء الشعب الكادح تمر دائما بدون عقاب، بل وتكون سببا في الترقية ورضا الرؤساء، فأصدر أمره باردا، مباشرا، دمويا: "طحن دين مو".

بعد هذا الحادث قال شاهد عيان: «إن الشعور السائد في الحسيمة هو شعور رهيب، مليء بالصدمة، والغضب والحزن العميق، وبالظلم و"الحكرة" والدونية، ولا أحدا يستطيع التعليق على ما حدث، إنها المصيبة... لم نعد نشعر بأننا بشر كباقي البشر، نحن كالحشرات في نظرهم، لم يبقى هناك صبر أكثر من هذا». يا لها من كلمات بليغة!

وقد كان رد فعل الجماهير مباشرا وبطوليا، إذ انفجرت موجة من الغضب ضد البوليس واندلعت مظاهرات تضامنية ضمت أعدادا لا تلبث تتضاعف وتنتشر. كما عمت المظاهرات الاحتجاجية كل ربوع المغرب وما تزال الوقفات والمسيرات نشيطة وكفاحية حتى يوم كتابة هذه السطور (2016/11/06)، خاصة في الحسيمة والنواحي.

في الحسيمة احتلت الجماهير الشوارع طيلة أيام وطهرتها من كل مظهر لتواجد البوليس، وتم تنظيم إضراب عام ناجح ومسيرات متواصلة بشعارات تطالب بمحاسبة المسؤولين عن الجريمة، وأيضا بالكرامة وبإسقاط الفساد والغلاء والاستبداد.

لم يسبق للمغرب، منذ تحركات 20 فبراير، أن شهد مثل هذه التحركات في كفاحيتها وامتدادها المجالي. لقد شملت حسب جريدة القدس العربي أكثر من أربعين مدينة، مما يؤكد أننا أمام محطة نوعية من محطات الصراع الطبقي بالمغرب، وليس فقط حركة تضامن إنساني مع ضحية للحكرة والقمع البوليسي.

وانتقل الاحتجاج إلى جامعات مدن مجاورة كمرتيل ووجدة. وأعلن النشطاء عن خروج تظاهرات في الحسيمة، والرباط، وطنجة، والقنيطرة، والدار البيضاء، ومراكش، وتطوان، وبني ملال، والقصر الكبير، وسيدي سليمان، ووجدة، وإمزورن، والصويرة، وبوكيدان، وأكادير، وبني بوعياش، والناظور، والدريوش، وخريبكة، ومكناس، وفاس، والعرائش، وتارودانت، وتزنيت... وغيرها.

كما نظمت العديد من الاحتجاجات خارج حدود المغرب، في فرنسا واسبانيا وبلجيكا وهولندا وتونس... وانتشرت أخبار الجريمة والاحتجاجات على صفحات أكبر الصحف العالمية والمواقع الالكترونية ومواقع التواصل الاجتماعي.

وفي المقابل انسحب جهاز القمع ولم يتجرأ أبدا على استفزاز المتظاهرين، حيث لم تحدث أية حالة قمع لأي مسيرة من المسيرات التي شهدتها البلاد. مما يعكس حالة الرعب التي تعيشها الطبقة السائدة ودولتها من تحول الحراك إلى ثورة.

أجبرت الاحتجاجات عامل المدينة على التدخل بسرعة وإلقاء كلمة وسط المحتجين أعلن فيها عن بعض الإجراءات لامتصاص غضب الجماهير وتطويق الوضع، إذ أكد أنه قرر إيقاف مندوب الصيد البحري بالمدينة وإجراء بحث "شفاف ونزيه في وفاة الشاب تحت إشراف النيابة العامة"، و"أن السلطات ستتابع الوضع أولا بأول". على نفس النغمة أنشد الوكيل العام للملك والذي أضاف أن "القانون سيأخذ مجراه في القضية".

لكن الجماهير خبرت بتجربتها الطويلة زيف الوعود ولجان التحقيق المزعومة والتي الهدف منها دائما هو طمس الجرائم وامتصاص الغضب، مثلما حدث مع جريمة قتل خمسة شباب من حركة 20 فبراير وحرقهم بطريقة بشعة، دون أن يقدم أي أحد إلى المحاكمة، فلم تنطل عليها الحيلة وواصلت النضال، وما تزال، مطالبة بالحقيقة والمحاسبة.

لقد أدى الرعب إلى إجبار الملك نفسه على الدخول على الخط، حيث أرسل على عجل وزير داخليته محمد حصاد، والوزير المنتدب في الداخلية الشرقي الضريس، إلى المدينة، ليقوما "بتقديم العزاء لأسرة محسن فكري" حسب البلاغات الرسمية، بينما كان الهدف الحقيقي هو ممارسة الضغوط على أسرة الشهيد وتهديدها وتحميلها المسؤولية عن أي انفلات قد يحدث بسبب الاحتجاجات، كما أكد ابن خالة محسن فكري.

وصرح وزير الداخلية أن "الداعيين للاحتجاجات معروفين لدى أجهزته". بينما أصدر عبد الإله بنكيران، رئيس الحكومة والأمين العام حزب العدالة والتنمية الإسلامي، توجيها لقواعده الحزبية يأمرهم بعدم المشاركة في الاحتجاجات. وبطريقة استفزازية قال في تصريح له إن: «القضية بالنسبة إليّ بسيطة، فهذا حدث مؤسف وقع، والدولة تحركت لنعرف الحقيقة» وأن الاحتجاجات التي دعا لها عدد من المغاربة تضامنا مع بائع السمك «لا معنى لها».

استمرار الاحتجاجات وتطورها أدى بالدولة إلى تغيير تكتيكها، حيث لجأت إلى التهديد بخطر "الفتنة" و"الحرب الأهلية" وذلك عبر وسائل الإعلام الرسمية والمواقع الالكترونية، بل وحتى عبر رسائل نصية عبر تطبيق الواتساب وغيرها من الوسائل، تضمنت التأكيد على أن استمرار هذه الاحتجاجات سيؤدي إلى الفتنة.

خطباء المساجد بدورهم لم يقفوا بعيدا عن الجوقة، فقد تم تخصيص خطب يوم الجمعة 04 نونبر 2016 لذكرى "المسيرة الخضراء" وتحذير المصلين من مخاطر الفتنة، ما أدى إلى إثارة سخط العديد من المصلين، مثلما حدث في مسجد بمدينة بني ملال حيث قاطع أحد المصلين الخطيب مباشرة بعدما دعا في خطبته إلى عدم الاحتجاج و وصف الاحتجاجات بالفتنة، فقاطعه قائلا: «حسبي الله ونعم الوكيل، لفقيه بغا اقول لكم اعتصموا بحبل الفساد جميعا ولا تفرقوا ... لي بغا الفتنة هو لي طحن خونا مغربي في شاحنة الازبال». مما يعكس عمق الانقسام ودرجة الوعي والغضب بين صفوف الجماهير.

يكشف التهديد بالفتنة عن طبيعة الطبقة السائدة والنظام القائم الدكتاتورية الدموية الإجرامية: «إما أن تصمتوا وتقبلوا بالذل والسحق والاستغلال والتقشف وكل الهجمات الأخرى، وإما الفتنة والحرب الأهلية. لا مجال لأي حل آخر، أما أن تفكروا في العيش بكرامة والتخلص من الاستغلال والحكرة، فهذا مستحيل ولا يمكن السماح به».

إلا أن هذا التهديد لم يخف الجماهير التي واصلت الخروج في مسيرات بعشرات الآلاف من المتظاهرين دون أن تكسر نافذة ولا يجرح طفل ولا تتعرض امرأة للتحرش أو أي كان لأي اعتداء، مما يعطي الدليل للمرة الألف أن الفتنة والعنف يأتي دائما من جانب النظام وقواته القمعية وبلطجيته وليس من جانب العمال والشباب.

ومما زاد في إثارة رعب الطبقة السائدة، رفع العديد من المتظاهرين لعلم جمهورية عبد الكريم الخطابي. لقد عاد شبح الثورة الريفية ضد الاستعمار وعملائه العلويين إلى الحياة على يد أحفاد مولاي محند.

إن رفع راية الجمهورية على يد هؤلاء الشباب ممارسة تقدمية نؤيدها نحن الماركسيون من كل قلوبنا ولا نرى فيها أية نزعة شوفينية، كما يزعم البعض. إنها راية ترمز للنضال ضد الاستعمار والنظام العميل الذي وقع معه "معاهدة الحماية" وتعاون معه على استعمار المغرب واستغلاله. إنها راية ترمز إلى الرغبة في التحرر من الاضطهاد والرغبة في التغيير والثورة. يشرفنا أن ننتمي إلى ذلك التراث التقدمي ونشكل الاستمرارية النوعية له، من خلال إعطاءه الشعار الوحيد الذي يجعله ممكنا: شعار النضال من أجل الاشتراكية.

فلتسقط كل محاولات تجريم تعاطف الشباب مع التقاليد المشرقة لنضال شعبنا، والقادة العظام لنضاله من أجل الحرية ولتسقط راية الجنرال ليوطي ونظامه ولتحيا راية الثورة.

يا أيها الشباب الثائر إن الثأر لمقتل الشهيد محسن فكري ومحاسبة نظام القتلة يتطلب أكثر من التظاهر والشعارات في الشوارع، إنه يقتضي الانخراط في بناء أدوات النضال الثوري، أي الحزب الماركسي الذي يمكنه أن يقود تلك النضالات نحو إسقاط نظام الحكرة والاستغلال والسحق. كما أن تبني التقاليد الثورية يقتضي عدم الاكتفاء بالتماهي مع معركة أنوال وملاحم النضال الثوري ضد الاستعمار في كل ربوع المغرب، بل يقتضي الانخراط في صنع الثورة للجيل الحالي ضد نظام الاستعمار الجديد وعملائه الآن هنا.

فإن كنت تتفق معنا التحق بنا، نحن مناضلو رابطة العمل الشيوعي، نحن أنصار جريدة الثورة، الفرع المغربي للتيار الماركسي الأممي، في نضالنا من أجل بناء القيادة الثورية وتحقيق مغرب المساواة والعدالة والكرامة، المغرب الاشتراكي.

أيــة آفـاق للــحـراك ضـــد

لقد مرت حتى الآن أزيد من عشرة أيام على جريمة سحق رجل السلطة للشاب محسن فكري. عشرة أيام من المظاهرات الحاشدة التي شملت ربوع البلد وانتقلت إلى تونس وبلدان أوربية عديدة. ورغم الوعود بفتح التحقيق وتشكيل اللجان ورغم التهديدات الإجرامية بإشعال الفتنة والخراب التي أطلقتها وسائل إعلام النظام الدكتاتوري وأبواقه المأجورة، فإن الاحتجاجات تواصلت وما تزال.

كانت فترة الهدوء النسبي التي تلت تراجع حراك عشرين فبراير قد أصابت البعض باليأس والقنوط، كما أثارت عند الطبقة السائدة وممثليها الابتهاج والثقة في النفس. بينما استمرينا نحن الماركسيون نؤكد أن كل عوامل الانفجار قائمة وأنه عاجلا أو آجلا ستعود عواصف الصراع الطبقي لتهب في شوارعنا وجامعاتنا ومعاملنا وأحياءنا الفقيرة وقرانا المهمشة. قلنا أن الضرورة ستعبر عن نفسها من خلال مصادفة ما*، وها هو النهوض الحالي يؤكد ما قلناه.

عشرات الآلاف من الشباب والعمال والكادحين (نساء ورجالا) خرجوا إلى الشوارع، تحدوا القمع وطالبوا بالكرامة ومحاسبة القتلة ووقف الحكرة وإسقاط الاستبداد، بينما وقف جهاز القمع مشلولا عاجزا. ما الذي يمكن للمرء أن يطلبه أكثر من الجماهير والشباب الكادح؟ النضال؟ الكفاحية؟ التضحية؟ ليس هناك ما يمكن أن يطلبه أكثر، فالجماهير كتبت فعلا ملاحم تاريخية خلال السنوات الأخيرة، وها هم الجماهير والشباب قد عادوا مجددا للنضال على خلفية قتل الشاب محسن فكري.

نقطة قوة الحركة هو عفويتها، فقد خرج الشباب بشكل عفوي تدفعهم مشاعر التضامن الطبقي والإنساني النبيل مع شهيد الحكرة، والغضب ضد جهاز القمع الذي لا يتوقف عن سحق كرامة أبناء الشعب وأجسادهم في كل يوم وكل ساعة وكل دقيقة وفي كل ربوع البلد.

عفويتها جعلتها بدون رأس يمكن للنظام قطعه أو المساومة معه لوقف الحراك. كما جعلته عاجزا عن توقع تحركاتها وحدودها واحتمالات تطورها... وهذا سبب آخر من أسباب رعب الدولة.

لكن، وللمفارقة الجدلية، تمثل العفوية في نفس الآن نقطة ضعف الحركة. فالحركة بعفويتها وبدون قيادة حازمة ببرنامج علمي وتكتيكات صحيحة، محكومة باستنزاف قواها والتلاشي تدريجيا أمام القمع والمناورات وغياب الأفق والمكاسب الملموسة. طبعا لن تضيع دروسها، لكنها محكومة بتكرار سيناريو حركة عشرين فبراير وغيرها من الانتفاضات والتحركات التي شهدها الصراع الطبقي بالمغرب طيلة عقود.

إن النظام الآن يراهن على ترك الحركة تكرر نفسها وأشكالها الاحتجاجية وتتعب من تلقاء نفسها، قبل أن يتدخل لتفريق شملها. إنه الآن يراهن على عامل الزمن وواقع أن الجماهير لا يمكنها أن تبقى إلى الأبد في الشوارع والوقفات والمسيرات بدون أفق ولا مكاسب ملموسة. إنه يقف على الهامش يراقب وبمجرد ما ستبدأ الجماهير في الانسحاب من الشوارع وتنعزل الطليعة المكافحة لوحدها في وقفات معزولة سينقض عليها بقمع انتقائي يستهدف أكثر الشباب كفاحية لقمعها بشكل نهائي.

هذا فقط هو السيناريو الأكثر احتمالا، لكن يمكن للأحداث أن تسير في مسار أكثر تصعيدا فيتخذ الحراك طابعا ثوريا أكثر عمقا وامتدادا وكفاحية. لكن حتى في ظل مثل ذلك الوضع ستكون العفوية نقطة ضعف قاتلة. إذ بدون قيادة ثورية توضح للجماهير، وعلى رأسها الطبقة العاملة، طريق التغيير الثوري وحسم الصراع لصالحهم، ستتمكن الطبقة السائدة ودولتها، بالتعاون مع حلفائها في المنطقة وأسيادها الإمبرياليين، من إطالة أمد الأزمة وربما إلحاق الهزيمة الساحقة بالحركة.

إن تطوير الحراك اليوم يحتاج إلى رفع الشعارات المناسبة وتطبيق تكتيكات صحيحة، يحتاج إلى رفع شعار لا للإفلات من العقاب. يجب محاكمة كل المسؤولين عن مقتل الشهيد محسن فكري، بدءا من ذلك المجرم الذي أعطى الأمر بسحق الشهيد وذلك الذي نفذ الأمر.

لكن يجب أيضا محاكمة وزير الداخلية ورئيس الحكومة باعتبارهما المسؤولين السياسيين عن كل ما يقوم به أعوان الجهاز الذي يشرفون عليه. كما يجب أن يحاكم كذلك رئيس الدولة باعتباره الحاكم الفعلي، والذي تتبع له كل الأجهزة القمعية من المقدمية إلى القياد إلى العمال والولاة الخ.

يجب النضال من أجل تحقيق نزيه ومحاكمة ومحاسبة المسؤولين عن الجريمة. لكن هذه المطالب ستبقى بدون مضمون فعلي بدون آليات وإجراءات ملموسة لتنفيذها على أرض الواقع. لذلك فإنه لضمان التحقيق النزيه يجب ألا نثق في لجان وزارة الداخلية، يجب أن يتم تشكيل لجان التحقيق من ممثلي المتظاهرين ينتخبون بشكل ديمقراطي، وتقدم لهم الداخلية، والدولة عموما، كل التسهيلات للقيام بعملهم، والقدرة على الوصول إلى المعلومة والاستماع إلى كل المتهمين والمشتبه فيهم والشهود، الخ. ولضمان المحاكمة العادلة والمحاسبة يجب ألا تتم على يد نفس القضاة الفاسدين، قضاة النظام الدكتاتوري نفسه، فهؤلاء القضاة لم يتم تكوينهم وتعيينهم في مناصبهم لكي يقوموا في يوم ما بمحاكمة أسيادهم. لا بد من محاكمة شعبية يشرف عليها ممثلون منتخبون ديمقراطيا من طرف الجماهير الشعبية.

لو توفرت في الحسيمة، خلال الأيام الماضية، منظمة ماركسية ولو من بضعة مئات، ببرنامج ثوري وتكتيكات صحيحة، لكان من الممكن لها أن تتحول إلى قوة سياسية جبارة ولكانت قد تمكنت من إرشاد الجماهير إلى كيفية أخذ مصيرهم بأيديهم من خلال انتخاب مجالس شعبية في الأحياء العمالية وأماكن العمل. ولكانت الحسيمة عادت مرة أخرى مهدا للثورة.

نظـــام "طحـــن ديـــن مّـــو"؟

لـو تشـكلت مثـل تلـك المجـالس الشـعبية واستولت على السلطة ووضعتها في يد الجماهير المنظمة، ولو لأيام قليلة فقط، وحتى لو تعرضت للقمع بعد ذلك، لكانت ستقدم للشعب المغربي والمنطقة المغاربية والعالم بأسره مثالا يحتذى في النضـال ضـد الرأسـمالية، مثلمـا قـدمت الثـورة الريفيـة، فـي بـدايات القـرن الماضـي، المثـال فـي النضال ضد الاستعمار.

الإصـلاحيون وضـيقو الأفـق سـيقولون إن العقلانيـة تقتضـي وضـع الثقـة فـي لجـان وزارة الداخليـة (أو لجـان برلمانيـة فـي أحسـن الأحـوال) وقضاة جلالته وقوانينه. لكن الجميع يعلم، ما عدا هـؤلاء الأغبيـاء الجبنـاء، أن اللجـان التـي سيشكلونها لن تكون ذات جدوى ولن تعمل سوى على إلهاء الجماهير وخداعها.

وسـيعتبرون أن المطالبـة باللجـان المنتخبـة والمحاكمة الشعبية إجراءات غير ممكنة التحقيق. لكن دعونا ننظر إلى الواقع كما هو وليس كما يريد هؤلاء الجبناء الإصلاحيون ضيقو الأفق أن يصوروه: لقد تمكنت جماهير الحسيمة في الأيام الأخيرة من احتلال الشوارع وتطهيرها من كل تواجد للبوليس. لفترة من الزمن لم تعد للدولة البرجوازية سلطة على الشوارع، وكانت السلطة الفعلية بين يد المتظاهرين الغاضبين الواثقين في أنفسهم. ما الذي كان يمنع هؤلاء الشباب والعمال وعموم الكادحين من أن يأخذوا المبادرة بأيديهم ويجسدوا سلطتهم بإجراءات عملية مباشرة من قبيـل انتخـاب مجـالس لتسـيير شـؤون المدينـة وحمايـة الأمـن وتشـكيل محكمـة شـعبية، الـخ؟ لـم يمنعهم سوى غياب التنظيم والبرنامج الثوري.

سيصـيح هـؤلاء الجبنـاء قـائلين: "سـلطة الشعب؟ يا للهول! الفتنة!"، لكن تـاريخ المنطقة نفسها، تاريخ الريف نفسه، وخاصة تاريخ الثورة الريفيـة المجيـدة، كـان بالضـبط تجسـيدا لسـلطة الشـعب (فـي إطـار القبيلـة) الـذي ينتخـب ممثليـه لمجلـس الجماعـة بـدون تـدخل مـن دولـة أعـوان الاستعمار في الربـاط. علينـا الآن فقط أن نمـارس تلك الديمقراطية لكن من نقطة أعلى وعلى أساس برنامج اشتراكي.

إن كل شاب يشارك بجدية في الحراك الحالي ويريد له أن يحقق أهدافه لا بد أن يكون قد واجه سؤال الأفق الممكن لهذا الحراك، وخطر تبدد كل هذه التضحيات هباء، وضياع دماء محسن فكري بـدون ثـأر. لهـؤلاء الشـباب نقـول إن الضـمانة الوحيدة لكي لا تتبدد تلك التضحيات، مثلما سبق لأخرى أن تبددت، هي بناء القيادة الثورية.

وفـي هذا السـياق نحيـي، نحـن الماركسـيون، أنصـار جريـدة الثـورة، ونؤيـد تلـك الدعـوات التـي أطلقهـا الشـباب المتظـاهرون إلـى وضـع برنـامج مطالـب اقتصـادية وسياسـية للحـراك، تنطلـق مـن أشد مطالب الجماهير الشعبية والشباب إلحاحا، مـن تعلـيم وصـحة وتشـغيل وبنيـة تحتيـة وديمقراطية، الخ. وندعوهم إلى تنظيم صفوفهم في مجـالس منتخبـة ديمقراطيـا فـي أمـاكن العمـل والأحياء والثانويات والجامعات.

لهـؤلاء الشباب نقول لم تعد مسألة ضـرورة القيـادة الثوريـة، أي الحـزب الماركسـي ببرنـامج اشـتراكي ثـوري ومنظـور أممـي، نقاشـا نظريـا مجردا، بل هي حاجة ملحة آنية وراهنية جدا جدا. خلال السنوات الخمس الأخيرة كان في مقدور الطبقـة العاملـة المغربيـة وعمـوم الكـادحين أن ينجحوا ليس ثورة واحدة فقط، بل عدة ثورات. لكن كل تلك التضحيات والكفاحية ضاعت هباء. والسبب هو غياب القيادة الثورية.

لـو تـوفرت القيـادة الثوريـة المنغرسـة بـين صفوف الجماهير، أثناء حراك عشرين فبراير لكان من الممكن للطبقة العاملة أن تحسم السلطة السياسـية والاقتصـادية لصـالحها وتقضـي علـى الطبقـة الرأسـمالية السـائدة ونظامهـا، نظـام الاستغلال والدكتاتورية الهمجي. لكن هذا بالذات ما كان مفتقدا وما يزال كذلك، وهذه هي مهمتنا أيها الشباب الثوري.

علينـا أن نشـرع فـي بنـاء تلـك القيـادة، فمهمـة بناءهـا ليسـت "مهمـة الآخـرين" ولا هـي مهمـة ستنجز من تلقاء نفسها دون عمل صبور لكسب أفضـل الطلائـع الشـبابية الثوريـة وتنظيمهـا وتكوينهـا علـى أسـاس الماركسـية والبرنـامج الاشتراكي ، أي دون ذلك العمل الذي كان لينين يطلق عليه اسم: "العمل الطويل الصعب الممل" لبنـاء الكـوادر الثوريـة وتثقيفهـا بـالمنظور الاشـتراكي والانغـراس فـي صـفوف العمـال والفلاحين الفقراء والشباب الثوري.

هذه هي المهمة التي وضعناها على كاهلنا نحـن أنصـار جريـدة الثـورة، رابطـة العمـل الشـيوعي، الفـرع المغربـي للتيـار الماركسـي الأممي. فإن كنتم تتفقون معنا التحقوا بنا في هذا النضـال من أجل هذا الهدف، الذي هو الهدف الوحيد الذي يستحق أن يعيش المرء من أجله ويضحي من أجله ويموت من أجله.

بريطانيا: 15.000 طالب وعامل يتوحدون ويناضلون من أجل التعليم

يوم السبت 19 نوفمبر، نزل أكثر من 15.000 طالب وأستاذ محاضر في شوارع لندن متضامنين مع بعضهم البعض للرد على الهجمات والاقتطاعات التي يشهدها التعليم: محاولات حكومة المحافظين الرفع أكثر في الرسوم الدراسية، وتسليع التعليم وخصخصته منظومة التعليم باستخدام 'قانون التميز التعليمي (TEF) كمبرر.

يهدف قانون TEF لقياس جودة التدريس في الجامعة، وسيسمح للجامعة الجيدة برفع رسومها. لكنه يستخدم معطيات غير موثوقة ولا علاقة لها بالواقع الفعلي للتدريس. إن آثار هذه السياسة ستفاقم التفاوتات الموجودة في التعليم بعد إلغاء المنح الجامعية.

إن السماح لبعض الجامعات بالزيادة في رسومها من شأنه أن يضر بالطلاب الأكثر فقرا، ويخلق تعليما نخبويا ومخصخصا، تعليما سيخدم الأثرياء في المجتمع في حين يحرم الطلاب أبناء الطبقة العاملة من ولوج الجامعات الأفضل.

إن التعليم حق يجب أن يستفيد منه الجميع؛ وينبغي ألا يستغل للربح أو أن يصبح سلعة للشراء

كان واضحا أن الآلاف من الطلاب والعاملين في مجال التعليم الذين شاركوا في هذه المظاهرة متفقون على هذا الرأي. وقد تضمنت الهتافات:

"يجب أن يكون التعليم مجانيا، وليس فقط للبرجوازية"، و"التعليم حق وليس امتياز".

وعلى الرغم من الطقس الخريفي، كان الجو حماسيا والمعنويات مرتفعة. جاء الطلاب وأعضاء هيئة التدريس من جميع أنحاء البلاد، مع مشاركة الطلاب الماركسيين من لندن وكامبريدج وسوانسي وريدنغ ومانشستر وأماكن أخرى، وتظاهروا معا تحت راية الكتلة الثورية لفدرالية الطلاب الماركسيين.

أظهر التضامن بين الطلاب أنه كلما استهدف الشباب والعمال من طرف الحكومة كلما تحركنا وناضلنا أكثر. كانت الوقفة والمسيرة منظمتين بشكل جيد للغاية، وهذا يدل على أن الغضب تحول إلى شغف.

لا يمكن لليمين أن يصور هذا الغضب بكونه عنفا أو فوضى. إن الشباب والعمال متحدون من أجل مستقبل أفضل. إن الطلاب يناضلون ضد كل سياسات حكومة المحافظين، وبدءوا في البحث عن حلول ثورية، كما بينت الشعارات المرفوعة "هناك حل واحد، إنه الثورة".

الشباب الأمريكي يرد الهجـ

«في منتصف طريق حياتنا
وجدت نفسي في غابة مظلمة
لأني تهت عن جادة الصواب

كم هو صعب أن أصف
تلك الغابة الموحشة، الكثيفة، القاسية
(التي يبعث التفكير فيها كل مخاوفي القديمة)

يا لها من مكان مرير، بالكاد يضارعها الموت في مرارتها؛
لكن إن كنت لأتكلم عما وجدت فيها من خير
فيجب أن أذكر أشياء أخرى غير الخير.»

دانتي أليغييري، الكوميديا الإلهية: الجحيم

في اليوم التالي للانتخابات، استيقظ الأميركيون ليجدوا أنفسهم في "أرض غريبة جديدة". وصفت صحيفة واشنطن بوست فوز ترامب بأنه "كارثة، وطريقة مزعجة لصنع التاريخ". ووفقا لتقارير داخلية، فإن اللجنة الوطنية للحزب الجمهوري، وحتى دونالد ترامب نفسه، لم يتوقعوا النتيجة.

شهدت ولايتي جورج دبليو بوش خروج ملايين المحتجين إلى الشوارع ضد "انتخابه" وضد الحروب اللاحقة ضد الإرهاب، كما في جميع أنحاء العالم. وفي المقابل كانت سنوات أوباما الثمانية هادئة نسبيا بالنسبة للصراع الطبقي، مع عدد قليل جدا من الاحتجاجات الجماهيرية والمسيرات في واشنطن، أو الإضرابات الكبيرة. وكان للكساد العظيم أثر سلبيا، بحيث أن القيادات النقابية انعطفت أكثر نحو اليمين، مذعورة من "الشر الأكبر"، وبالرغم من بعض التحركات المهمة، فقد هيمن قدر من اللامبالاة والكلبية.

شكلت ليلة 08 نوفمبر نهاية لتلك الفترة. وعلى الرغم من أن ترامب لن يقدم القسم رسميا حتى 20 يناير 2017، فقد دخلنا عهدا جديدا، حيث الضغوط والتناقضات التي تراكمت في العقود الأخيرة ستطفو إلى السطح. الماضي ليس مؤشرا على المستقبل. فقد تغيرت الظروف والوعي وما تزال تتغير، وليست هذه سوى البداية. ومثلما جعل انتصار ترامب من حدث خروج بريطانيا من الإتحاد الأوربي يبدو وكأنه مجرد حفلة شاي، فإن تصاعد الصراع الطبقي في السنوات المقبلة سيضع في الظل انتفاضة ويسكونسن عام 2011 وحركات احتلال الساحات وحركات حياة السود مهمة (Black Lives Matter) والحركة التي تحلقت حول بيرني ساندرز.

الشباب الأمريكي يرد الهجوم

بينما احتفل ملايين العمال ذوي الياقات الزرقاء[1] وعمال المناطق الريفية بهز أصبعهم الأوسط في وجه 1٪ من الأغنياء، فقد بذل ملايين العمال والشباب الآخرين ما بوسعهم لابتلاع الشراب المر لفشل مقاربة "أهون الشرين" بالتصويت لكلينتون. ملايين الناس مصدومون حقا وحزانى حقا وقلقون لأسباب وجيهة. لا يستطيعون تخيل عالم حيث يقف ملياردير بلطجي ومتعصب على رأس السلطة التنفيذية للحياة السياسية الأميركية. لكن آخرين كثيرين يشعرون بالغضب، ومتأثرون بشكل عميق، وعلى استعداد للنضال.

في الساعات الأولى من صباح 09 نوفمبر، وبعد لحظات على إعلان النتائج، اندلعت احتجاجات عفوية في جميع أنحاء البلاد، من بيتسبرغ الى بورتلاند. وبينما أصيب الليبراليون المدافعون عن جرائم وأخطاء كلينتون والديمقراطيون بالذعر واليأس، فإن غريزة الكفاح لدى الشباب عادت للحياة. أعضاء حركة ساندرز 2.0، لم يعودوا يحاولون تغيير الحزب الديمقراطي من خلال الانتخابات التمهيدية والمؤتمرات الحزبية، بل أغرقوا الشوارع ليوضحوا بأنهم يرفضون العيش في بلد يسمح بالعنصرية والتمييز على أساس الجنس ومعاداة المثلية الجنسية والفقر والبطالة والتشرد.

في غضون ساعات، نظمت العشرات من الاجتماعات الاستثنائية والاحتجاجات عبر شبكات التواصل الاجتماعي، من مدينة نيويورك إلى ولاية

ـوم: فقط الاشتراكية يمكنها التغلب على ترامب!

اندیانا، من أوكلاند الى مينيابوليس. نظم طلاب المدارس الثانوية الإضرابات والمظاهرات، ونظمت مسيرات في عشرات الجامعات. أحرق بعض المتظاهرين العلم الأمريكي، وهتفت حناجر الآلاف، الذين ساروا عبر شوارع مانهاتن للتجمع أمام برج ترامب، بشعارات مثل: "ترامب إلى الجحيم"، "إنه ليس رئيسي" "عنصري، عدو للنساء والجنس مثليين، !KKK" [2]، "دونالد ترامب إرحل!". وقد لخص آدم برافر، وهو طالب من جامعة بيركلي، الحالة المزاجية السائدة قائلا: «نحن لا نستطيع الاكتفاء بالجلوس جانبا والسماح لعنصري وعدو للنساء والجنس مثليين أن يصبح رئيسا... إنه يجعلنا نبدو بمظهر سيء أمام العالم. هذه بداية الحراك».

شارك رفاقنا في الفرع الأمريكي للتيار الماركسي الأممي بحيوية في عشرات من هذه المظاهرات، مع العدد الجديد من مجلتنا الجديدة، النداء الاشتراكي، والتي تم بيعها في مسيرة نيويورك. إن الحماس والزخم اللذان ميزا الاحتجاجات المستمرة منظر يستحق المشاهدة. وهذا يدل على الإمكانيات الثورية الموجودة في مئات المدن الكبيرة والصغيرة في جميع أنحاء هذا البلد القاري. المظاهرات والاجتماعات ينبغي أن تستمر. ومع ذلك، فإن كان العمال والشباب في الولايات المتحدة والعالم يريدون أن يكون لهم مستقبل أفضل، فإن الاحتجاج لن يكون كافيا. مهمتنا التاريخية ليست مجرد إظهار غضبنا تجاه النظام، بل علينا وضع حد له مرة واحدة وإلى الأبد.

الأزمة والنضال

سيحكم ترامب في ظل أزمة اقتصادية واجتماعية ذات أبعاد هائلة. ولن يستطيع أن يفي بوعوده. لقد تخلص ملايين الناس بالفعل من أوهامهم في النظام، وسوف يتبعهم ملايين آخرون. كان مستحيلا التنبؤ الدقيق بنتائج الانتخابات، لكن يمكننا أن نكون متأكدين من شيء واحد، وهو أنه في الأسابيع والسنوات المقبلة، سيعرف الصراع الطبقي احتدادا كبيرا، مع موجات صعود وهبوط، في المصانع وفي الجامعات والشوارع.

يذكر أن موقع الهجرة في كندا انهار ليلة الانتخابات. يبدو أن العديد من الأمريكيين يعتقدون أنه يمكنهم حل مشاكلهم عبر الفرار من البلاد. لكن أزمة الرأسمالية أزمة عالمية، فلا مهرب منها. من كندا إلى البلدان الاسكندينافية، تتعرض كل مكاسب النضالات الماضية للطبقة العاملة للهجوم. عندما نتعرض للهجوم من قبل أعدائنا الطبقيين، عندما يطرح علينا الاختيار بين النضال أو الهروب، علينا أن نحذو حذو الشباب ونناضل!

ترامب ليس الوجه الحقيقي للولايات المتحدة ولا هو مستقبلها. ما يقرب من نصف جميع الناخبين المسجلين في الانتخابات امتنعوا أصلا عن التصويت. لم يذهب إلى التصويت سوى عدد أقل من ذلك الذي سجل في عام 2008، وعام 2012، على الرغم من النمو السكاني. وبالكاد صوت 25٪ من السكان المسجلين في اللوائح، لصالح ترامب، والكثير منهم فعلوا ذلك للاحتجاج على الوضع الراهن، على الرغم من تعصبه، وليس بسبب تعصبه.

الحياة تعلم ونحن نتعلم من التجربة. فوز ترامب سيكون بمثابة جرس إنذار، بمثابة تنبيه صارم بأن التغيير لا يمكن أن يحدث بمجرد "الإيمان" أو "الأمل" في المجرد. لا يمكن أن يحدث بالتصويت لأحزاب الوضع الراهن، بل يجب تحقيقه بالنضال. لم يعد الأمريكيون يحتملون الوضع الراهن ويريدون التغيير. إنهم يريدون أن يأخذوا مصيرهم بين أيديهم. إنهم يريدون العمل الكريم والصحة والتعليم ذوي جودة والأمن وتحسين شروط الحياة لأنفسهم ولذويهم. لكن لا شيء من هذا ممكن في ظل الرأسمالية. وسواء كانوا يفهمون ذلك أم لا فإن ما يريدونه هو الثورة الاشتراكية. هذه هي الطريق التي أمامنا من الآن فصاعدا.

هذا لن يكون سهلا، ولن يتحقق بين عشية وضحاها، لكنه يمكننا أن نجعل من هذا حقيقة واقعة خلال حياتنا. إن الدرس الواضح لانتخابات يوم الثلاثاء الماضي، وعلى حد قول فريدريك دوغلاس، هو "إذا لم يكن هناك صراع، فلن يكون هناك أي تقدم". إن الحياة كفاح، ويجب علينا أن نقبل ذلك. إن ما ينتظرنا في المستقبل هو مرحلة مثيرة للنضال من أجل حياة أفضل للجميع. إن المثال الذي يقدمه لنا الشباب يجب أن يملأنا بالحماس والتفاؤل بالمستقبل.

وحدها الاشتراكية من يمكنها أن تهزم ترامب! التحقوا بالتيار الماركسي الأممي للنضال من أجل عالم أفضل!

هوامش:

[1]: العمال ذوي الياقات الزرقاء مصطلح يطلق على العمال العاديين ذوي الأجور المتدنية وظروف العمل الصعبة، مقابل العمال ذوي الياقات البيضاء الذين هم العمال الأفضل تكوينا واجورا. المترجم.

[2]: KKK: كو كلوكس كلان منظمات يمينية عنصرية متطرفة تدافع عن تفوق العرق الأبيض وتدعو إلى معاداة السود والجنس مثليين والأجانب... المترجم.

لماذا نحن ماركسيون

لقد مر ربع قرن من الزمن منذ أن نشر فرانسيس فوكوياما كتابا بعنوان "نهاية التاريخ والإنسان الأخير"، معلنا الانتصار النهائي لاقتصاد السوق والديمقراطية البرجوازية. بدا كما لو أن هذه الفكرة قد تأكدت بفعل ما يقرب من 25 سنة من ازدهار الأسواق وارتفاع النمو الاقتصادي دون انقطاع تقريبا. وصار السياسيون ومحافظو البنوك المركزية ومديرو وول ستريت على قناعة بأنهم قد تمكنوا أخيرا من القضاء على الأزمات الاقتصادية.

الآن، وبعد مرور عقدين على سقوط الاتحاد السوفييتي، لم يبق هناك حجر على حجر في صرح أوهام البورجوازية تلك. فالعالم يواجه أعمق أزمة منذ الثلاثينات. أمام هذا الوضع الكارثي على الصعيد العالمي أصيبت البرجوازية في أوربا والولايات المتحدة واليابان بحالة من الذعر. في سنوات الثلاثينات قال تروتسكي إن البرجوازية كانت "تنزلق إلى الكارثة بأعين مغلقة". إن هذه الكلمات تنطبق تماما على الوضع الراهن، كما لو أنها كتبت بالأمس.

طيلة السنوات العشرين الماضية تفاخر الاقتصاديون البرجوازيون بأنه لن يكون هناك مزيد من دورات الازدهار والركود، وأنه تم إلغاء الدورة. ومن الحقائق المعروفة أن الاقتصاديين البرجوازيين لم يتمكنوا طيلة عقود من توقع أية دورة ازدهار أو دورة ركود. لقد فبركوا نظرية رائعة جديدة تسمى "فرضية كفاءة السوق". في الواقع، ليس هناك أي شيء جديد في هذه النظرية. إنها تعود إلى الفكرة القديمة القائلة بأن : "السوق إذا تركت لحالها سوف تتمكن من حل كل شيء. وسوف تحقق التوازن تلقائيا. وما دامت الحكومة لا تتدخل، فإنه عاجلا أم آجلا كل شيء سيكون على ما يرام". وهو ما علق عليه جون مينارد كينز قائلا: "عاجلا أم آجلا سنكون جميعا في عداد الأموات".

في العقد الأول من القرن 21، أصبح من الواضح بشكل متزايد أن الرأسمالية قد استنفدت كل إمكاناتها التقدمية. وبدلا من أن تطور الصناعة والعلوم والتكنولوجيا، تعمل على تقويضهم باطراد. ففوى الإنتاج راكدة، والمصانع تغلق كما لو أنها علب أعواد الثقاب، ويلقى بالملايين إلى البطالة. كل هذه الأعراض تدل على أن تطور القوى المنتجة على الصعيد العالمي قد تجاوز الحدود الضيقة للملكية الخاصة والدولة القومية.

هذا هو السبب الأساسي الجوهري للأزمة الحالية، والتي كشفت عن إفلاس الرأسمالية بالمعنى الحرفي للكلمة. وتوفر المحنة التي تعيشها ايرلندا واليونان تأكيدا واضحا للحالة المرضية للرأسمالية الأوروبية. وغدا ستنتشر العدوى إلى البرتغال واسبانيا. لكن بريطانيا وإيطاليا ليستا بعيدتان. وستتبعهما فرنسا وألمانيا والنمسا حتما على هذا المسار التنازلي.

يبذل الاقتصاديون والسياسيون البرجوازيون، وقبل كل شيء الإصلاحيون من كل نوع، قصارى جهدهم للبحث عن حل للخروج من هذه الأزمة. وهم يتطلعون إلى استعادة دورة الأعمال لنشاطها كوسيلة للخلاص. ويعتقد قادة الطبقة العاملة والقادة النقابيون والاشتراكيون الديمقراطيون أن هذه الأزمة شيء مؤقت. يتوهمون أنه يمكن حلها عن طريق إدخال بعض التعديلات على النظام القائم، وأن كل ما تحتاجه هو المزيد من الرقابة والتنظيم، وهكذا يمكن العودة إلى الأوضاع السابقة. **لكن هذه الأزمة ليست أزمة عادية، كما أنها ليست مؤقتة. إنها تمثل نقطة تحول رئيسية في السيرورة، حيث وصلت الرأسمالية إلى نقطة الإفلاس التاريخية. أفضل ما يمكن توقعه هو حدوث انتعاش ضعيف، يرافقه ارتفاع معدلات البطالة وفترة طويلة من التقشف وخفض مستويات المعيشة.**

أزمة الإيديولوجية البرجوازية

الماركسية في المقام الأول هي فلسفة ونظرة إلى العالم. إننا لا نجد في الكتابات الفلسفية لماركس وإنجلز نظاما فلسفيا مغلقا، بل سلسلة من الأفكار والمؤشرات الرائعة، والتي من شأنها، إذا ما تم تطويرها، أن توفر إضافة قيمة إلى الترسانة المنهجية للعلوم.

ليس هناك من مكان تظهر فيه أزمة أيديولوجية البرجوازية أكثر وضوحا مما هي عليه في عالم الفلسفة. في مراحلها الأولى عندما كانت البرجوازية تقدمية، كانت قادرة على إنتاج مفكرين كبار: هوبز ولوك، وكانط وهيغل. لكن في عهد احتضارها، لم تعد البرجوازية قادرة على إنتاج أفكار عظيمة. بل إنها، في الواقع، غير قادرة على إنتاج أي أفكار على الإطلاق.

بما أن البرجوازية الحديثة غير قادرة على إنتاج تعميمات جريئة، فإنها صارت تنفي مفهوم الإيديولوجية نفسه. هذا هو السبب الذي يجعل مفكري ما بعد الحداثة يتكلمون عن "نهاية الأيديولوجية". إنهم ينكرون مفهوم التقدم ببساطة لأنه في ظل الرأسمالية لم يعد من الممكن تحقيق أي التقدم. كتب إنجلز ذات مرة قائلا : «بين الفلسفة ودراسة العالم الفعلي نفس العلاقة التي بين الاستمناء باليد والحب الجنسي». إن الفلسفة البرجوازية الحديثة تفضل الأول على الأخير. وفي سياق صراعها ضد الماركسية أجبرت الفلسفة على العودة إلى أسوء فترة من ماضيها القديم، البالي والعقيم.

المادية الجدلية وجهة نظر دينامية لفهم طريقة عمل المجتمع، والطبيعة والفكر. إنها أبعد ما تكون عن فكرة بالية من القرن التاسع عشر، إنها نظرة للطبيعة والمجتمع حديثة بشكل باهر. إن الديالكتيك ينفي الطريقة الجامدة في النظر إلى الأشياء التي تميزت بها المدرسة الفيزيائية الكلاسيكية الميكانيكية القديمة. وتبين أنه في ظل ظروف معينة يمكن للأشياء أن تتحول إلى نقيضها.

لقد لاقى المفهوم الجدلي القائل بأنه يمكن لتراكم تدريجي لتغييرات صغيرة أن يتحول في لحظة حرجة إلى قفزة عملاقة، تأكيدا باهرا بفضل نظرية الفوضى الحديثة ومشتقاتها. لقد وضعت نظرية الفوضى حدا للحتمية الميكانيكية الاختزالية الضيقة التي هيمنت على العلوم لأكثر من مائة سنة. لقد عبر الديالكتيك الماركسي في القرن التاسع عشر عما تؤكده نظرية الفوضى رياضيا الآن: الترابط الداخلي بين الأشياء، الطبيعة العضوية للعلاقة بين الجزيئات.

تشكل دراسة التحولات المرحلية واحدة من أهم مجالات الفيزياء المعاصرة. وهناك عدد لا حصر له من الأمثلة على الظاهرة نفسها. التحول من الكم إلى النوع هو قانون عام. وقد أوضح مارك بوكانان في كتابه الوجود المطلق (Ubiquity) هذه الظواهر على أنها تغييرات متنوعة مثل النوبات القلبية والانهيارات الثلجية وحرائق الغابات، وازدياد ونقصان قطعان الحيوانات، وأزمات البورصة، والحروب، وحتى التغييرات في الموضة والمدارس الفنية. والمدهش أكثر هو أنه يمكن التعبير عن هذه الأحداث بصيغة رياضية معروفة باسم قانون القوة.

لقد سبق لماركس وإنجلز، اللذان وضعا فلسفة هيغل الجدلية على أسس علمية (أي مادية)، أن توقعا هذه الاكتشافات الهامة منذ فترة طويلة. في كتابه المنطق (1813) كتب هيغل : «لقد أصبح من المسلم به في التاريخ أن الآثار الكبيرة تنشأ عن أسباب صغيرة». كان هذا قبل وقت طويل من ظهور "نظرية تأثير الفراشة". إن الثورات هي، مثلها مثل الانفجارات البركانية والزلازل، تأتي نتيجة لتراكم بطيء للتناقضات على مدى فترة طويلة. تصل السيرورة في نهاية المطاف إلى نقطة حرجة تحدث خلالها طفرة مفاجئة.

المادية التاريخية

كل نظام اجتماعي يعتقد أنه يمثل النموذج الوحيد الممكن لوجود الجنس البشري، وأن مؤسساته، ودينه، وأخلاقه هي أسمى ما يمكن أن يوجد. هذا ما كان أكلة لحوم البشر، والكهنة المصريون، وماري انطوانيت والقيصر نيكولاس يعتقدونه بشدة. وهذا ما كان فرانسيس فوكوياما يرغب في إظهاره عندما أكد لنا، دون أي أساس، أن نظام ما يسمى بـ "المقاولة الحرة" هو النظام الوحيد الممكن- بالضبط عندما بدأ يغرق.

ومثلما شرح تشارلز داروين أن الأنواع ليست ثابتة، وأنها تمتلك ماض وحاضر ومستقبل، وأنها تتغير وتتطور، شرح ماركس وإنجلز أن كل نظام اجتماعي معين ليس شيئا ثابتا إلى الأبد. إن التشابه بين المجتمع والطبيعة هو، بطبيعة الحال، تقريبي فقط، لكن حتى أكثر الدراسات التاريخية سطحية تبين أن التفسير التدريجي للتاريخ ليس له أي أساس. إن المجتمع، مثله مثل الطبيعة، يعرف فترات طويلة من التحول البطيء والتدريجي، لكنه يشهد أيضا انقطاع الخط بفعل التطورات المتفجرة - الحروب والثورات، التي تتسارع خلالها عملية التغيير بشكل كبير. في الواقع هذه الأحداث هي التي تشكل القوة المحركة الرئيسية للتطور التاريخي.

السبب الجذري للتغيرات الثورية هو واقع أن نظاما اجتماعيا واقتصاديا قد وصل إلى حدوده القصوى وصار غير قادر على تطوير القوى المنتجة كما كان يفعل من قبل. تحلل الماركسية العوامل الرئيسية الخفية التي تكمن وراء تطور المجتمع البشري منذ المجتمعات القبلية حتى العصر الحديث. إن المفهوم المادي للتاريخ يمكننا من فهم التاريخ، ليس كسلسلة من الحوادث الغير مترابطة والغير متوقعة، وإنما كجزء من عملية مترابطة ومفهومة بشكل واضح. إنه سلسلة من الأفعال وردود الأفعال التي تشمل السياسة والاقتصاد ومجموعة كاملة من التطورات الاجتماعية.

إن العلاقة بين كل هذه الظواهر هي علاقة جدلية معقدة. كثيرا ما تبذل محاولات لتشويه الماركسية عن طريق اللجوء إلى وصف منهجها في التحليل التاريخي بصورة كاريكاتورية. والتشويه المعتاد هو القول بأن ماركس وإنجلز "اختزلا كل شيء إلى الاقتصاد". لقد رد ماركس وإنجلز عدة مرات على هذه السخافة، كما هو واضح في المقتطف التالي من رسالة لإنجلز إلى بلوخ :

«وفقا للمفهوم المادي للتاريخ، يعتبر العنصر الحاسم في التاريخ هو، في نهاية المطاف، إنتاج وإعادة إنتاج الحياة. ولم نؤكد لا أنا ولا ماركس على أكثر من هذا. وبالتالي، فإذا ما قام شخص بتحويل هذا إلى القول بأن العنصر الاقتصادي هو العنصر المحدد **الوحيد**، فإنه يحول هذا الموقف إلى عبارة لا معنى لها ومجردة وفارغة».

البيان الشيوعي

أكثر الكتب التي يمكن للمرء أن يقرأها اليوم راهنية هو البيان الشيوعي، الذي كتب سنة 1848. صحيح أنه من الممكن إدخال التغييرات على هذا التفصيل أو ذاك، لكن من حيث الجوهر ما تزال أفكار البيان الشيوعي راهنية وصحيحة مثلما كان عليه الحال عندما كتبت لأول مرة. وعلى النقيض من ذلك، فإن الغالبية الساحقة من المؤلفات التي كتبت منذ قرن ونصف من الزمان لم يعد لديها اليوم سوى أهمية تاريخية.

الشيء الأكثر لفتا للنظر في البيان هي الطريقة التي يتوقع بها أكثر الظواهر الأساسية التي تشغل اهتمامنا على الصعيد العالم في الوقت الحاضر. دعونا نتأمل مثالا واحدا: في الوقت الذي كان ماركس وإنجلز يكتبان فيه البيان، كان عالم الشركات المتعددة الجنسيات ما يزال لحنا من المستقبل البعيد جدا. لكنهما على الرغم من هذا، أوضحا كيف أن "التجارة الحرة" والمنافسة ستقودان حتما إلى تركز رأس المال واحتكار القوى المنتجة.

من المضحك قراءة البيانات التي أدلى بها المدافعون عن "السوق" بخصوص خطأ ماركس المزعوم بشأن هذه المسألة، بينما هي في واقع الأمر واحدة من أكثر توقعاته براعة ودقة. والحقيقة التي لا جدال فيها اليوم هي أن عملية تركز رأس المال التي توقعها ماركس قد حدثت وتحدث، بل في الواقع وصلت إلى مستويات لم يسبق لها مثيل في غضون السنوات العشر الماضية.

على مدى عقود طويلة حاول علماء الاجتماع البرجوازي دحض هذا التأكيد و"إثبات" أن المجتمع أصبح أكثر مساواة، وأن الصراع الطبقي، نتيجة لذلك، صار مسألة بالية مثل النول والمحراث الخشبي. قالوا إن الطبقة العاملة اختفت وإننا صرنا جميعا من الطبقة المتوسطة. أما بالنسبة لتركيز رأس المال، فإن المستقبل للشركات الصغيرة، و"كل صغير جميل".

كم تبدو هذه المزاعم مضحكة اليوم! الاقتصاد العالمي بأسره يوجد تحت سيطرة ما لا يزيد عن 200 شركة عملاقة، أغلبها في الولايات المتحدة. وقد وصلت سيرورة الاحتكار أبعادا غير مسبوقة. في الربع الأول من عام 2006 بلغت عمليات الدمج والتملك في الولايات المتحدة عشرة مليارات دولار في اليوم. لكن هذا النشاط المحموم لا يعني تطويرا حقيقيا للقوى المنتجة، بل العكس. ووتيرة الاحتكار لا تقل بل تزداد. في 19، 20 نوفمبر2006 بلغت قيمة عمليات الدمج والتملك في الولايات المتحدة مستوى قياسيا بلغ 75 مليار دولار - في غضون 24 ساعة فقط! عمليات الاستيلاء [التي تقوم بها الشركات على بعضها البعض] هي نوع من أكل لحوم البشر يتبعها حتما نزع الأصول وإغلاق المصانع والتسريحات، أي أنه بواسطة هذا التدمير المتعمد لوسائل الإنتاج تتم التضحية بآلاف مناصب الشغل على مذبح الربح.

وفي الوقت نفسه هناك زيادة مستمرة في عدم المساواة. في جميع البلدان تسجل حصة الأرباح من الدخل القومي أعلى مستوى، في حين أن حصة الأجور هي عند مستوى منخفض بشكل قياسي. السر الحقيقي وراء النمو الحالي هو أن

الرأسماليين يستخرجون كميات قياسية من فائض القيمة من الطبقة العاملة. ففي الولايات المتحدة الأمريكية ينتج العمال في المتوسط أكثر بنسبة الثلث مما كانوا ينتجون قبل عشر سنوات مضت، ورغم ذلك فإن الأجور الحقيقية جامدة أو أنها تنخفض بالأرقام الحقيقية. الأرباح تتصاعد والأثرياء يزدادون ثراء أكثر من أي وقت مضى على حساب الطبقة العاملة.

دعونا نأخذ مثالا آخر أكثر إثارة للانتباه : العولمة. إن الهيمنة الساحقة للسوق العالمية هي المظهر الأكثر أهمية في عصرنا، وهذا يفترض أن يكون اكتشافا حصل مؤخرا. في الواقع إن العولمة قد تم توقعها وشرحها من قبل ماركس وإنجلز منذ أكثر من 150 عاما مضت. لكن عندما كتب البيان، لم تكن هناك عمليا أية معطيات ملموسة لدعم هذه الفرضية. كان الاقتصاد الرأسمالي الوحيد المتقدم حقا هو الاقتصاد الانجليزي. كانت الصناعات الناشئة في فرنسا وألمانيا (التي لم تكن موجودة حتى ككيان متحد) ما زالت محمية وراء حواجز جمركية مرتفعة- الأمر الذي تنساه الحكومات الغربية والاقتصاديون البرجوازيون بسهولة اليوم، في الوقت الذي تقدم فيه المحاضرات لبقية العالم بشأن الحاجة إلى فتح اقتصاداتها.

نتائج عولمة "اقتصاد السوق" على الصعيد العالمي مرعبة. في عام 2000 كان أغنى 200 شخص في العالم يمتلكون ثروة تساوي ما يملكه 2 مليار من الأشخاص الأكثر فقرا. ووفقا لأرقام الأمم المتحدة، يعيش 1. 2 مليار شخص بأقل من دولارين في اليوم. ومن بين هؤلاء يموت ثمانية ملايين من الرجال والنساء والأطفال كل عام لأنهم لا يملكون ما يكفي من المال من أجل البقاء. يتفق الجميع على أن قتل ستة ملايين شخص في المحرقة النازية جريمة فظيعة ضد الإنسانية، لكن لدينا هنا هولوكوست صامت يقتل ثمانية ملايين من الأبرياء كل عام ولا أحد يقول أي شيء عن هذا الموضوع.

جنبا إلى جنب مع أبشع أشكال البؤس والمعاناة الإنسانية هناك فورة في الأرباح والثروات الفاحشة. هناك في العالم اليوم 945 ملياردير يمتلكون ثروة إجمالية قدرها 3. 5 تريليون دولار. كثير منهم مواطنون أمريكيون. بيل غيتس يمتلك ثروة شخصية تقدر بنحو 56 مليار دولار، ولا يبتعد عنه وارين بوفيت كثيرا بثروة تبلغ 52 مليار دولار. وهم يتباهون الآن بالقول بأن هذه الثروات تمتد إلى "الدول الفقيرة". من بين أكبر الأثرياء هناك 13 مواطن صيني، 14 مواطن هندي و19 مواطن روسي. ومن المفترض أن يكون هذا سببا للاحتفال!

الصراع الطبقي

تعلمنا المادية التاريخية أن الظروف المادية تحدد الوعي. والمشكلة هي أن الوعي ما يزال متخلفا عن تطور الشروط الموضوعية، والمنظمات الجماهيرية ما تزال متخلفة خلفهما، وفوق كل شيء ما تزال قيادة الطبقة العاملة متأخرة أبعد من ذلك. هذا هو التناقض الرئيسي في الفترة الحالية. يجب أن يحل هذا التناقض، وسوف يحل.

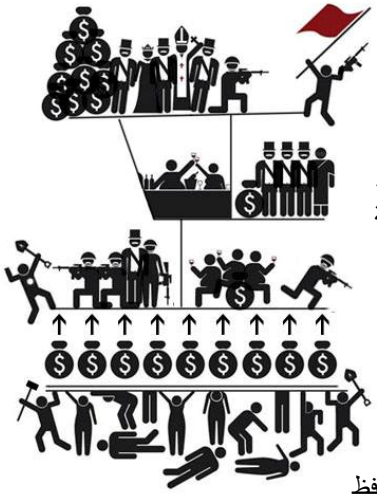

دائما ما يقدم المثاليون الوعي باعتباره القوة المحركة لكل التقدم البشري. لكن حتى الدراسة الأكثر سطحية للتاريخ تظهر أن الوعي البشري يميل دائما إلى التخلف عن الأحداث. إن الوعي أبعد ما يكون عن الثورية، إنه بالفطرة محافظ للغاية. معظم الناس لا يحبون فكرة التغيير، ناهيك عن الاضطرابات العنيفة التي تغير الظروف القائمة. إنهم يميلون إلى التشبث بالأفكار المألوفة، والمؤسسات المعروفة، والأخلاق التقليدية ودين النظام الاجتماعي القائم وقيمه. لكن جدليا، تتغير الأمور إلى نقيضها. عاجلا أو آجلا، سوف يصير الوعي متماشيا مع الواقع بطريقة متفجرة. وهذا هو بالضبط ما تعنيه الثورة.

توضح الماركسية ان مفتاح كل التطور الاجتماعي، في آخر التحليل، هو تطوير القوى المنتجة. فما دام المجتمع يسير إلى الأمام، أي طالما أنه قادر على تطوير الصناعة والزراعة والعلوم والتكنولوجيا، فإن الغالبية العظمى من الناس ينظرون إليه باعتباره يستحق البقاء. في ظل هذه الظروف، لا يميل الرجال والنساء عموما إلى التشكيك في المجتمع القائم، والأخلاق والقوانين السائدة، بل على العكس من ذلك، ينظرون إليها على أنها أمر طبيعي وحتمي مثل شروق الشمس وغروبها.

الأحداث العظيمة ضرورية لتمكين الجماهير من التخلص من عبء التقاليد والعادة والروتين الثقيل، وتبني أفكار جديدة. هذا هو الموقف الذي يتبناه المفهوم المادي للتاريخ، والذي أعرب عنه كارل ماركس ببراعة في العبارة الشهيرة "الواقع الاجتماعي يحدد الوعي". لا بد من أحداث عظيمة لفضح اختلال النظام القديم وإقناع الجماهير بضرورة القضاء عليه بشكل نهائي. هذه العملية ليست تلقائية وتستغرق وقتا.

في الفترة الماضية بدا كما لو أن الصراع الطبقي في أوروبا صار شيئا من الماضي. لكن الآن كل التناقضات المتراكمة بدأت تصعد إلى السطح، ممهدة الطريق لانفجار الصراع الطبقي في كل مكان. حتى في بلدان مثل النمسا، حيث تمكنت الطبقة الحاكمة لعقود من شراء السلام الاجتماعي بواسطة الإصلاحات، ها هي الأحداث العاصفة بدأت تتحضر. إن الوضع يتضمن تغيرات حادة مفاجئة.

عندما كتب ماركس وإنجلز البيان، كانا شابان في التاسعة والعشرين والسابعة والعشرين من عمرهما على التوالي. كانا يكتبان في ظل فترة ردة رجعية هائلة. وكانت الطبقة العاملة تبدو جامدة. البيان نفسه كتب في بروكسل، حيث اضطر كاتباه إلى الفرار كلاجئين سياسيين. لكن وفي اللحظة التي رأى البيان الشيوعي فيها النور، فبراير 1848، كانت الثورة قد اندلعت بالفعل في شوارع باريس، وانتشرت على مدى الأشهر التالية كالنار في الهشيم في كل أوروبا تقريبا.

إننا ندخل مرحلة انفجارات قوية ستستمر لعدة سنوات، مشابهة للمرحلة التي عاشتها اسبانيا من سنة 1930 حتى 1937. ستكون هناك هزائم ونكسات، لكن في ظل هذه الظروف سوف تتعلم الجماهير بسرعة كبيرة. بالطبع يجب علينا ألا نبالغ، فما زلنا في البدايات المبكرة لعملية التجدر. لكن من الواضح جدا هنا أننا نشهد بداية تغيير في وعي الجماهير. عدد متزايد من الناس صاروا يشككون في الرأسمالية، وهم منفتحون على الأفكار الماركسية بطريقة لم تشهد من قبل. وفي المرحلة المقبلة ستصير الأفكار التي كانت مقتصرة على مجموعات صغيرة من الثوار راية لملايين الأشخاص.

يمكننا بالتالي أن نجيب السيد فوكوياما على النحو التالي : إن التاريخ لم ينته. إنه في الواقع، بالكاد بدأ. وعندما ستنظر أجيال المستقبل إلى الوراء إلى "الحضارة" الحالية، سيكون لديهم تقريبا نفس الموقف الذي لدينا من مجتمع آكلي لحوم البشر. إن الشرط المسبق لتحقيق مستوى أعلى من التطور البشري هو إنهاء الفوضى الرأسمالية ووضع خطة إنتاج عقلانية وديمقراطية يمكن بواسطتها للرجال والنساء أن يأخذوا حياتهم ومصائرهم بأيديهم.

سيقول لنا "الواقعيون" المزعومون "هذه يوتوبيا مستحيلة!". لكن الأمر الغير واقعي تماما هو أن نتصور أنه يمكن حل المشاكل التي تواجه البشرية على أساس النظام الحالي الذي دفع العالم إلى حالته المزرية هذه. إن القول بأن البشرية غير قادرة على إيجاد بديل أفضل لقوانين الغاب هو تشهير بشع بالجنس البشري.

من خلال تسخير الإمكانات الهائلة للعلوم والتكنولوجيا، وتحريرها من قيود الملكية الخاصة والدولة القومية الخانقة، سوف يصبح من الممكن حل جميع المشاكل التي تنهك عالمنا وتهدده بالدمار. سوف يبدأ التاريخ البشري الحقيقي فقط عندما سيقضي الرجال والنساء على العبودية الرأسمالية ويقطعون الخطوات الأولى نحو عالم الحرية.

إسبانيا: فلنحضر للرد على الحكومة الجديدة،

حكومة الاقتطاعات والهجمات الاجتماعية

إن الركود الاقتصادي المطول، والصراع من أجل الأسواق على الصعيد العالمي في سياق الأزمة، والدين العام الضخم، كل هذا يفرض على الرأسمالية الاسبانية، أكثر من أي وقت مضى، الحاجة إلى حكومة متحكم فيها بشدة من قبل كبار رجال الأعمال والمصرفيين لتنفيذ سياسة تخدم مصالحهم. المحاور الأساسية لهذه السياسة هي الحفاظ على العمل الهش وتجميد الأجور وفرض الإقتطاعات وتقليص الإنفاق الاجتماعي؛ وفرض تشريعات رجعية للحد من الحقوق الديمقراطية لاحتواء الاحتجاجات الاجتماعية.

لقد سمحت الطبقة الحاكمة، طيلة سنتين، لحزب سيودادنوس والحزب الاشتراكي بلعب دور شبه معارضة، نظرا لتراجع شعبية الحزب الشعبي على نطاق واسع، لمواجهة الخطر المحدق بالطبقة الحاكمة، المتجسد في حزب بوديموس وحلفائه. ونظرا للفشل الواضح للحزب الاشتراكي وسيودادنوس في تشكيل بديل للحزب الشعبي، تحولت البرجوازية الاسبانية الآن إلى المطالبة بالوحدة والاتفاق بين الأحزاب التي تدعم النظام. فإذا لم تكن قادرة على تشكيل حكومة قوية، فإنها تحتاج، على الأقل، إلى تشكيل حكومة ذات قاعدة برلمانية واسعة.

مع إنعطاف الحزب الاشتراكي وحزب سيودادنوس نحو اليمين، لدعم الحزب الشعبي، سيحدث تقاطب سياسي كبير، نحو اليمين ونحو اليسار، ما وسع نطاق إشتغال Unidos Podemos وفتح آفاقا جديدة منذ أسابيع قليلة.

أزمة الحزب الاشتراكي العمالي الإسباني

برفضه الحاسم للتحالف مع الحزب الشعبي، يجسد بيدرو سانشيز مصالح قطاع من الجهاز الحزبي يخشى أنه إذا ما سهل الحزب الاشتراكي عملية تشكيل حكومة الحزب الشعبي، فإنه سيسرع في إنهياره لصالح Unidos Podemos وسيفقد المزيد من المواقع. أدى إعلان بيدرو سانشيز لرغبته في تشكيل حكومة بديلة مع Unidos Podemos إلى خلق حماس حقيقي بين صفوف قطاعات مهمة من القاعدة والناخبين للحزب، لكنه واجه غضب وعداء الطبقة الحاكمة التي أهانته وإتهمته بالكذب و الجبن وإنعدام الضمير في صحف مثل البايس.

فهم العملاء المباشرون للبرجوازية داخل الحزب الاشتراكي الاشارة وانتقلوا إلى الهجوم. إن هذا القطاع، الذي يقوده فيليبي غونزاليس وسوزانا دياز، والذي يسيطر على القسم الأهم داخل الجهاز، ما كان ليقبل بخطط سانشيز، وبالتالي دبر "للانقلاب" ضده وأجبره على الاستقالة في اجتماع اللجنة الفدرالية في 01 أكتوبر الماضي.

لقد حافظ هذا القطاع على سيطرته المطلقة على الحزب طيلة عقود، بوصفه "الذراع الأيسر" للبرجوازية الاسبانية. إن شخصا مثل فيليبي غونزاليس هو عميل مؤهل للطبقة الحاكمة، ومشارك في العديد من المشاريع الخاصة ومجالس إدارة الشركات الكبيرة ومنتديات السياسة الإمبريالية في أوروبا وأمريكا اللاتينية.

من بين نتائج "الانقلاب" الذي نظمه أنصار فليبي إثارة غضب فئة مهمة من النشطاء وناخبي الحزب، الساخطين على دعمه لليمين، وحدوث انقسامات كبيرة داخل جهاز الحزب في مناطق مثل كاتالونيا وجزر البليار وبلاد الباسك وغيرها؛ لذا يجب تتبع تداعيات ذلك. والآن سيتعرض الحزب الاشتراكي الضعيف بشكل دائم للابتزاز لاسقاط حكومة راخوي إذا سحب دعمه البرلماني لها، والتهديد بانتخابات مبكرة جديدة.

آفاق الحكومة الجديدة

ستكون مهمة الحزب الاشتراكي في "المعارضة" هي تأمين الدعم البرلماني لسياسات التقشف التي ستطبقها حكومة الحزب الشعبي وسيودادنوس المقبلة والموافقة على مقترحاتها. ومنذ البداية فرض الاتحاد الأوروبي خفض العجز العام للحكومة الاسبانية بقيمة 26 مليار يورو حتى عام 2018، لخفض العجز العام من 4.6٪ إلى 2.2٪ من الناتج المحلي الإجمالي. وقادة الحزب الشعبي وسيودادنوس ملتزمون بهذا. لذلك فإن سياسات التقشف سوف تتعمق، مع زيادات ضريبية وتخفيضات كبيرة في الإنفاق الاجتماعي.

على الرغم من أننا نشارك في القلق بشأن استمرارية حكومة الحزب الشعبي، فإنه يجب علينا أن ننظر أبعد. ستدخل الحكومة الجديدة إلى الساحة بأصغر قاعدة دعم اجتماعي خلال الأربعين عاما الأخيرة، تواجه الكره بسبب

الفساد المستشري فيها وغضب الطبقة العاملة ضد السياسات المعادية للعمال التي طبقتها في ولايتها السابقة. نهاية فترة الانتخابات الطويلة التي مررنا بها، ستخلق الظروف الملائمة لاعادة تجميع السخط الشعبي. وعندما سينجلي الغبار وينتهي وضع الشلل المؤقت وعدم اليقين المتولد عن عدم وجود حكومة واضحة المعالم، ستصير عودة الحركات الاجتماعية إلى النشاط مسألة حتمية.

وسيصير ذلك أكثر حتمية، عندما ستنفضح حقيقة زيف الوعود الانتخابية وعدم وجود أي تغيير حقيقي في الوضع.

وفي المقابل تنفتح أمام تحالف Unidos Podemos آفاق مواتية للغاية، شريطة أن نستخلص الدروس الصحيحة مما حدث. يجب أن يظهر Unidos Podemos باعتباره بطل المعارضة ضد اليمين، ويكون على رأس جميع الحركات الاجتماعية، ويضم في صفوفه المناضلين الجدد والناشطين الاجتماعيين والعماليين الذين سيبرزون خلال هذه السيرورة.

الإنعطاف إلى اليسار

من القضايا المطروحة هناك كيفية النجاح في مهمة تجميع قواعد الحزب الاشتراكي الغاضبة، واستعادة المليون صوت الذي فقدناه في إنتخابات 26 يونيو. خلال الأسابيع السابقة شاهدنا تطور بداية نقاش إيديولوجي وسياسي داخل بوديموس، بين القطاعات التي يمثلها الرفاق بابلو اغليسياس وإنيجو إريخون. قال بابلو اغليسياس إن سبب فقدان المليون صوت في 26 يونيو كان "لأننا لم نبد صادقين"، في إشارة إلى تغير الخطاب والثناء على الاشتراكية الديمقراطية، معربا عن الحاجة إلى الإنعطاف نحو اليسار. وحذر إغليسياس من أن بوديموس قد بدأ يبتعد من سيطرة القاعدة ويقع تحت سيطرة مئات المهام والارتخاء والابتعاد عن الشارع. من النافل القول في هذا النقاش إن تعاطفنا السياسي هو مع إغليسياس ضد أطروحات الرفيق إيرخون التي تدعو "لعدم التخويف" بالمواقف "اليسارية" وإظهار الحزب بطابع مؤسساتي.

سيكون من الخطأ تطبيق مقترحات معسكر الرفيق إريخون بالحفاظ على الوجه المعدتل لحزب PODEMOS، بحجة أنه لا يجب إخافة فئة الناخبين السابقين للحزب الاشتراكي. إن الحقيقة هي عكس ذلك تماما. لقد كان على وجه التحديد الدفاع عن أفكار "اليسار" ورفض "اليمين" هو ما شجع هذا القطاع من الناخبين والمتعاطفين مع الحزب الاشتراكي، الذين هم بصدد القطع معه. وعلى عكس ذلك، إن الانشودة الطفولية بخصوص "لا اليسار ولا اليمين" التي ميزت مواقف بعض الرفاق في قيادة بوديموس خلال العامين الأخيرين، هي ما عزز حجج قيادة الحزب الاشتراكي المعادية لبوديموس للحفاظ على دعم بعض قواعدها.

برنامج اشتراكي

ينبغي على Unidos Podemos أن يفسر ما نحن بحاجة اليه لحل المشاكل التي تعاني منها غالبية المجتمع. عليه أن يشرح أن القضاء على هشاشة العمل وتدني الأجور، والحصول على التعليم والصحة العمومية اللائقة، وضمان الحصول على السكن ووضع حد للبطالة، مهمة مستحيلة طالما استمرت أقلية من كبار الرأسماليين تسيطر على الاقتصاد. إن الرفيق ألبرتو غارثون يسير في الاتجاه الصحيح، باقتراحه التوجه بوضوح نحو الطبقة العاملة، الطبقة الحاسمة والأكثر عددا في المجتمع، ودفاعه عن ضرورة الاشتراكية.

إن ما هو مطلوب الأن هو تحقيق هذا الخطاب برنامجيا من خلال تطوير منبر واسع يجمع أهم الاحتياجات العاجلة والملحة، مثل توزيع فرص العمل عن طريق تقليص ساعات العمل الأسبوعية إلى 35 ساعة وزيادة الأجور وإلغاء الإصلاحات المضادة لقانون الشغل والقضاء على العمل الهش وزيادة الضرائب على الأغنياء وعدم دفع الدين العام للبنوك والصناديق المالية الدولية وغيرها. لتنفيذ هذا من الضروري تأميم البنوك وشركات بورصة IBEX35 والملكيات العقارية الكبيرة، ووضعها تحت سيطرة العمال دون تعويض، باستثناء صغار المساهمين والمدخرين. وينبغي أن يرتبط هذا أيضا بالدفاع عن المطالب الديمقراطية، مثل الحق في تقرير المصير للقوميات التاريخية وإلغاء جميع التشريعات القمعية التي فرضها الحزب الشعبي.

إذا ما نحن دافعنا عن هذا البرنامج بشجاعة واقتناع، سوف يؤدي ذلك إلى الرفع من الوعي السياسي لملايين العمال والشباب والعاطلين وأصحاب االملكيات الصغيرة والمهنيين الفقراء، وسيستقطب الدعم الاجتماعي نحو Unidos Podemos. من شأن هذا أن يضع الأسس لخلق سيرورة تأسيسية واشتراكية للقضاء على هذا النظام المفلس تاريخيا.

مقتطفات من البرنامج الانتقالي

طوال عقود وعقود والجماهير الكادحة – المغربية والصحراوية- تناضل بشراسة النمور ضد الدكتاتورية والاستغلال والقهر القومي. لكن المأساة هي أن كل تلك النضالات البطولية والتضحيات تذهب هباء وتبقى بدون أفق بسبب غياب برنامج ثوري يكثف مطامح وآمال الجماهير في نقاط واضحة تعبر عن أشد مطالبها إلحاحا وتوسع أفقها باستمرار. برنامج انتقالي يشكل الجسر بين النضالات الآنية وبين النضال من أجل التغيير الاشتراكي للمجتمع.

في هذا السياق ننشر مقتطفات من برنامجنا الانتقالي على صفحات الجريدة، بحيث يتضمن كل عدد موضوع معين، وللراغبين في الإطلاع على البرنامج الانتقالي كاملا يمكنه اقتناء العدد 11 من جريدتنا "الشيوعي" (يناير 2014) من المناضل الذي يوزع الجريدة، أو الاطلاع عليه على موقع ماركسي.

نطرح هذا البرنامج للطبقة العاملة المغربية والشعب الصحراوي وعموم الكادحين والمناضلين العماليين والشباب الثوري الباحثين عن بديل ماركسي اشتراكي ثوري، بحيث يتناول مواضيع: **الأجور**، البطالة، النقابات، النساء، الأسرة، السياسة الزراعية، الخوصصة، الصحة، التعليم، السكن، الديون، الضرائب، السياسة الخارجية، الجيش والشرطة، حقوق الشعب الصحراوي، جهاز الدولة.

الأجور:

إن الحد الأدنى للأجور الحالي الهزيل (والغير معمول به رغم ذلك في العديد من القطاعات، بل الذي يعتبره أرباب العمل ليس كافيا فقط، بل مبالغا فيه ويجب تخفيضه !!) لا يستجيب لتلبية حتى نصف الحاجات المعيشية الأساسية/البيولوجية (التغذية، المأوى...) للعمال وأسرهم، فبالأحرى الحاجات الثقافية والترفيهية...

لذلك فإننا في رابطة العمل الشيوعي نناضل من أجل:

- الرفع من الحد الأدنى للأجور إلى 6000 درهم شهريا، على الصعيد الوطني وفي جميع القطاعات، بدون استثناء، مع تطبيق السلم المتحرك للأجور بحيث ترتفع الأجور تلقائيا مع أي ارتفاع في الأسعار.
- القضاء على التمييز في الأجور على أساس الجنس أو السن: نفس العمل، نفس الأجر!
- لا للاقتطاعات العقابية من أجور العمال، لأي سبب كان، لا لتجويعهم هم وأسرهم!
- منع "الأجور" العينية منعا باتا.
- لا للأجور المبالغ فيها، نعم لتحديد الأجور العليا من طرف مجالس العمال والفلاحين.
- تحديد أجور موظفي الدولة بحيث لا يتقاضى أي موظف- أي كان- أجرة أعلى من أجرة العامل المؤهل.

جريدة الثورة
تصدرها رابطة العمل الشيوعي
الفرع المغربي للتيار الماركسي الأممي
زوروا مواقعنا الالكترونية:
HTTP://WWW.MARXIST.COM
HTTP://WWW.MARXY.COM
HTTP://WWW.ATTAWAJOHALKAIDI.COM